

جهود الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في بيان مفهوم
الامامة وفلسفتها وموقفه من سياسة المال والخوف في الدولة
العباسية

الباحث الشيخ

عادل خلف شهواز حيدر
كلية التربية للعلوم الانسانية-
جامعة واسط

ha.70.hs70@gmail.com

الأستاذ الدكتور

محمد حسين علي السويطي
كلية التربية للعلوم الانسانية-
جامعة واسط

mohali@uowasit.edu.iq

الملخص

تبني حكام بنو العباس من اجل كسب الرأي العام لصالحهم سياسة اعتمدت على المال والخوف، اذ كانوا يقدمون الاغراءات لكبار العلماء والفقهاء بهدف كسبهم، وان اعترضوا اعتمدوا معهم التخويف، وهو ما جعل الكثير منهم يقفون الى جانب دولة بني العباس ويفتون لصالح حكامها، الا ان للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) موقفاً واضحاً وصريحاً من تلك السياسة، ميزته عن غيره من العلماء والفقهاء، اذ انه صمد (عليه السلام) بوجه هذه الأساليب على الرغم من شدة قسوتها واغراءاتها، ومارس مهامه على أتم وجه، مسدداً من الله تعالى والحكمة التي ورثها عن رسول الله وأهل بيته (عليهم السلام)، حتى استطاع ان يخلق طبقة واعية تمكن من خلالها تصحيح مسار المجتمع، وظل كذلك حتى استشهاده على يد المأمون العباسي بعد أن يئس من كسبه، وخاف من التفاف الناس حوله وتأثرهم بأفكاره النيرة ومعتقداته الحق.

الكلمات المفتاحية: جهود، الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، الامامة، المال، الخوف.

Imam Ali bin Mousa Al-Ridha (PUH) Efforts in the Interpretation of the Concept and Philosophy of Imamate and his Attitude towards Money Policy and Fear of the Abbasid State

Prof. Dr. Mohammad Hussein Ali Al-

Sowaity

University of Wasit – College of Human Sciences

Adil Khakaf Shahwaz Haider

University of Wasit – College of Human Sciences

Abstract

In order to win public opinion for their favor, the rulers of Banu al-Abbas adopted a policy that relied on money and fear, as they were offering temptations to senior scholars and jurists with the aim of winning them over. Imam Ali Bin Musa Al-Ridha (peace be upon him) had a clear and explicit stance on this policy, which distinguished him from other scholars and jurists as he (peace be upon him) withstood these methods despite their severity and temptations. He exercised his duties to the fullest, guided by Almighty God and by the wisdom that he inherited from the Messenger of God and his family (peace be upon them). He could create a conscious class through which he was able to correct the course of society, and he remained so until he was martyred by Al-Ma'mun al-Abbasid felt afraid that people would follow him and then be affected by his bright ideas and true belief.

Keywords: (efforts) (Imam Ali bin Musa al-Ridha, peace be upon him), (imamate) (money), (fear)).

المقدمة

(العباسي).

ختاماً نقول إن هذا الجهد البحثي محاولة جادة للكشف عن جهود الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان مفهوم الامامة وفلسفتها وموقفه من سياسة المال والخوف العباسية.

المبحث الأول: نهج الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في توضيح مفهوم الامامة وفلسفتها

تعد مسألة ولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام ركناً أساسياً وأصلاً من أصول الدين على مذهب أهل البيت المنصوص عليه بأمر الله تعالى؛ ليتبين للناس الطريق الواضح لتحقيق مرضاة الله تعالى؛ لذا أكد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في مناسبات عديدة على إمامة علي بن موسى الرضا عليه السلام؛ ليتخذها الناس طريقاً لهم لمعرفة أحكام الله تعالى وطاعته، على الرغم من التقيّة التي كان يعيشها عليه السلام لالتقاء شرور حكام بني العباس وجورهم؛ امثالاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء، آية: ٥٨). إذ ورد في ذلك روايات عديدة، منها: «دعانا أبو الحسن موسى عليه السلام وأشهدنا ونحن ثلاثين رجلاً من بني هاشم وغيرهم أن علياً ابنه وصيه وخليفته من بعده» (المسعودي، ١٩٦٥، ص ٢١٦)، (الكليني، ١٩٨٥، ج ١، ص ٣١٢). وفي رواية ثانية إن أحد رجال الإمام قال: «كنت عند أبي إبراهيم وعلي ابنه صبي يدرج في الدار فقلت: أرى علياً ذاهباً وجائياً دون سائر الناس، فقال: هو أكبر ولدي

تبنى حكام بنو العباس من أجل كسب الرأي العام لصالحهم، بهدف تثبيت دولتهم وتمير نظريتهم السياسية في الحكم (نظرية الحق الإلهي المقدس)، أساليب سياسية خبيثة ومتنوعة، كان أبرزها المال والخوف، إذ كانوا يقدمون الإغراءات لكبار العلماء والفقهاء بهدف كسبهم لصالحهم، وان اعترضوا اعتمدوا معهم التخويف والإرهاب، وهو ما جعل الكثير من هؤلاء العلماء والفقهاء يقفون الى جانب دولة بني العباس ويفتون لصالح حكامها. إلا إن للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام موقفاً واضحاً وصریحاً من تلك السياسة، ميزه من غيره من العلماء والفقهاء، وكيف لا يكون كذلك وهو الإمام المعصوم الذي ورث العلم وكل خصال الخير من آباءه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرائيل عن الخالق الكريم.

وسعيّاً منا لإظهار هذا الجانب التاريخي ودراسته بموضوعية، على نحو يسهم في إعادة كتابة التاريخ، جاءت محاولتنا هذه تحت عنوان: (جهود الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بيان مفهوم الامامة وفلسفتها وموقفه من سياسة المال والخوف في الدولة العباسية).

وقد تضمنت هذه المحاولة ثلاث مباحث رئيسية، هي على الترتيب: (نهج الإمام علي بن موسى الرضا في توضيح مفهوم الامامة وفلسفتها)، و(جهود الإمام علي بن موسى الرضا في تصحيح مسارات علماء عصره المنحرفة وموقفه من الثورات العلوية) و(الإمام علي بن موسى الرضا في مواجهة المأمون

وأحبهم إليّ، وهو ينظر معي في كتاب الجفر، ولا ينظر فيه إلا نبي أو وصيّ نبي» (المسعودي، ١٩٦٥، ص ٢١٥).

وقال رجل آخر في رواية ثالثة: «حملت إلى أبي إبراهيم ما لا فأخذ مني بعضه وردّ عليّ الباقي، فقلت له: جعلت فداك لم رددت عليّ هذا؟ فقال امسكه حتى يطلبه منك صاحبه بعدي، فلما مضى موسى عليه السلام بعث إلي الرضا عليه السلام أن هات المال الذي قبلك فوجهت به إليه» (المسعودي ١٩٦٥، ص ٢١٥)، وفي رواية رابعة قال أحد المقربين منه: «كنت عند موسى عليه السلام بمكة وبين يديه علي ابنه، فقال لي: هذا علي ابني قوله قولي وكتابه كتابي وخاتمه خاتمي، فما قال لكم من شيء فهو كما قال لكم» (المسعودي، ١٩٦٥، ص ٢١٥) (الكليني، ١٩٨٥، ج ١، ص ٣١٢).

اذ كشف النص عن الفرق بين الرسول والنبى والإمام، وان الإمام لا ينطق عن الهوى أو الرأي إنما يوحى إليه وان كان لا يرى الشخص لكنه يسمع الكلام، وأكد ذلك ان الإمامة هي اختيار إلهي بعيد من اختيار الناس، وإن ما يقوله الامام أو يفعله بعيد من الاجتهاد والاستنباط، وأن قوله وفعله يتطابق مطابقة تامة مع القرآن الكريم والسنة الشريفة بوصفه عدل القرآن الكريم. وأكد ذلك حديث النبي صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله - عز وجل - جبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص ٤٣١).

من مجموع الروايات المتقدمة؛ يظهر تأكيد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على إمامة ولده الإمام الرضا عليه السلام وهو صغير في السن، وابرار الأدلة الغيبية التي تثبت إمامته ووصايته، لأسباب منها: عظم مقام الإمامة، وإبعاد الشبهات التي ترد على شخص الإمام المعين، وجعله دليلاً قاطعاً على الإمامة لأنها مسؤولية إلهية وتعيين خاص من الله تعالى لمن ارتضاه، وقطع الطريق على المدّعين للإمامة.

وقال ابن حجر الهيثمي مفسراً هذا الحديث: «سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن وعترته وهي بالمشاة الفوقية: الأهل والنسل والرهط والأدونون - ثقلين، لأن الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك، إذ كلٌّ منهما معدن للعلوم اللدنية والأسرار والحكم

وقد حرص الإمام الرضا عليه السلام على توضيح مفهوم الإمامة ومسؤوليتها وتأكيد أحقيتها والنص عليها، إذ ورد في جواب له عن السؤال: «إن الرسول الذي يُنزلُ عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه ويُنزلُ عليه الوحي، وربّما رأى في منامه نحو رؤيا

مجموع الروايات المتقدمة؛ يظهر تأكيد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام على إمامة ولده الإمام الرضا عليه السلام وهو صغير في السن، وابرار الأدلة الغيبية التي تثبت إمامته ووصايته، لأسباب منها: عظم مقام الإمامة، وإبعاد الشبهات التي ترد على شخص الإمام المعين، وجعله دليلاً قاطعاً على الإمامة لأنها مسؤولية إلهية وتعيين خاص من الله تعالى لمن ارتضاه، وقطع الطريق على المدّعين للإمامة.

وقد حرص الإمام الرضا عليه السلام على توضيح مفهوم الإمامة ومسؤوليتها وتأكيد أحقيتها والنص عليها، إذ ورد في جواب له عن السؤال: «إن الرسول الذي يُنزلُ عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه ويُنزلُ عليه الوحي، وربّما رأى في منامه نحو رؤيا

لمن تبعنا ونور لمن اقتدى بنا. من رغب عنا ليس منا، ومن لم يكن منا [معنا] فليس من الإسلام في شيء» (ابن الفرات، ص ٢٨٣)، (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٢٣، ص ٣١٢).

وفي هذه النصوص أدلة على إمامة وعلوم أئمة أهل البيت عليهم السلام وما خصّهم الله تعالى به، ووجوب محبتهم وإتباعهم، وخلاف ذلك يكون الهلاك والنار.

وأكد ابن حجر الهيثمي هذه المضامين في معرض كلامه على حديث الثقلين الوارد ذكره، بقوله: «الحاصل: أن الحث وقع على التمسك بالكتاب وبالسنّة، وبالعلماء بها من أهل البيت، ويستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة الى قيام الساعة، ثم أعلم أنّ لحديث التمسك بذلك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص ٤٣٢).

وفي رواية للطبراني «آخر ما تكلم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم: اخلفوني في أهل بيتي، وفي أخرى... إن الله - عزّ وجلّ - ثلاث حرّات، فمن حفظهنّ حفظ الله دينه ودنياه، ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله دنياه ولا آخرته... حرمة الإسلام، وحرمتي، وحرمة رحي» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص ٤٣٣).

وبين هذا تطابق المضامين الواردة التي بينها الإمام الرضا عليه السلام مع ما أكده ابن حجر الهيثمي من وجوب صحبة أئمة أهل البيت عليهم السلام وطاعتهم وإتباعهم، وأنّ الإمامة فيهم الى قيام الساعة، ومن أبغضهم وخالفهم فمصيره النار.

وفي المجال نفسه قال ابن حجر الهيثمي: «في

العلية والأحكام الشرعية، ولذا حثّ صلى الله عليه وآله وسلم على الإقتداء والتمسك بهم والتعلّم منهم وقال: الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت... ثم الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله وسنّة رسوله، إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب الى الحوض... وتميّزوا بذلك عن بقية العلماء، لأنّ الله تعالى أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وشرفهم بالكرامات الباهرة والمزايا المتكاثرة» (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص ٤٣٤).

وفي جواب له عليه السلام في احد كتبه: «أما بعد فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله وسلم كان أمين الله في خلقه، فلما قبض كنا أهل البيت ورثته، فنحن أمناء الله في أرضه، عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام، وإنا لنعرف الرّجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق، وإنّ شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم، أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يردون موردنا ويدخلون مدخلنا، ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم، نحن النجباء النّحاة، ونحن أقرّاء الأنبياء ونحن أبناء الاوصياء، ونحن المخصوصون في كتاب الله عزّ وجلّ، ونحن أولى الناس بكتاب الله ونحن أولى الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» (الكليني، ١٩٨٥، ج ١، ص ٢٢٣)، (الصفار، ١٤٠٤هـ، ص ١١٩).

وفي موضع آخر قال عليه السلام: «إن شيعتنا... ليس على ملة إبراهيم خليل الرحمن غيرنا وغيرهم... وشيعتنا آخذين بحجرتنا، من فارقنا هلك ومن تبعنا نجا، والجاحد لولايتنا كافر. وشيعتنا وتابع ولايتنا... مؤمن، لا يجنبنا كافر ولا يبغضنا مؤمن، من مات وهو محبنا [يحبنا] كان حقاً على الله ان يبعثه معنا، نحن نور

والجواب عن ذلك هو أن حُب الشهرة والمقام الديني والتقرّب للسلطان فضلاً عن عدم الجرأة في التضحية بذلك المقام في معارضة قوة السلطان، وما درج عليه عامة المسلمين بمرور الزمن من اعتقادات عقوداً طويلة.

وورد كذلك: «لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام بنيسابور وأراد أن يخرج منها الى المأمون، اجتمع عليه أصحاب الحديث، فقالوا له يا بن رسول الله، ترحل عنا ولا تحدّثنا بحديث فنستفيد منك؟... فأطلع رأسه، وقال: سمعت موسى بن جعفر يقول: سمعت أبي جعفر بن محمد يقول: سمعت أبي محمد بن عليّ يقول: سمعت أبي الحسين يقول: سمعت أبي الحسين بن عليّ يقول: سمعت أبي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: سمعت الله عز وجل يقول: لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي، قال: فلما مرّت الرّاحلة نادانا: بشر وطها وانا من شروطها» (الصدوق، ١٣٩٨هـ، ج ٢، ص ١٣٥)، (الصدوق، ١٣٦١هـ، ص ٣٧٠).

وهنا أكد الإمام عليه السلام إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام وحدد شخوصهم المنصوص عليها ومنها شخصه المبارك، وأنّ ولايتهم هي شرط أساس في دخول حصن الله تعالى والأمان من عذابه، وبغير هذا الشرط وهي ولايتهم وطاعتهم لا يمكن أن يكون هناك أمان من عذاب الله تعالى، بعد أن ذكر الحديث القدسي منسوباً لسلسلة الإمامة قبله الى رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أكد إمامتهم بشخوصهم، إذ إنه لم يذكر غيرهم في سلسلة رواة الحديث القدسي من أولاد

أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة الى عدم انقطاع متأمل منهم للتمسك به الى يوم القيامة، كما إن الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أماناً لأهل الأرض... ويشهد لذلك الخبر السابق: في كلّ خلفٍ من أمّتي عدولٌ من أهل بيتي الى آخره ثم أحقّ من يُتمسكُ به منهم إمامهم وعالمهم عليّ بن أبي طالب -كرم الله وجهه- لما قدمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته، ومن ثمّ قال أبو بكر: عليّ عليه السلام عِترَةُ رسول الله صلى الله عليه وآله [أي الذين] حثّ على التمسك بهم فخصه، بما قلنا، وكذلك خصّه صلى الله عليه وآله بما مرّ يوم غدیر خُمّ (الهيثمي، ١٤٢٩هـ، ص ٤٣٤).

بمعنى ان مسألة إمامة أهل البيت عليهم السلام مسألة شرعية من صلب الدين الإسلامي ومن زمن الإمام عليّ عليه السلام، مما يعطي تفسيراً واضحاً لأقصاء أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الساحة السياسية من بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله الى الرفيق الأعلى حتى عصر زمان الإمام الرضا عليه السلام، وكشف أيضاً عن سبب محاربة الحكام العباسيين لهم والسعي للخلاص منهم، ومنع انتشار أفكارهم وعقائدهم، واستخدام المال والخوف في نشر المذاهب والفرق الإسلامية الأخرى وسيلة لإبعاد المسلمين عن مذهبهم عليهم السلام؛ لأنه يسلب مشروعيتهم ويؤكد بطلان حكمهم.

ويتبادر الى الذهن هنا سؤال مفاده: إذا كان حكام بنو العباس يرفضون مذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام تمسكاً بالسلطان لأن الملك عقيم، فما بال علماء المسلمين الذين لا يتبعون مذهب أهل البيت عليهم السلام، ومنهم من أوجد لنفسه مذهباً خاصاً؟

العلوية وقادتها وعدم استطاعتهم كسبهم الى جانبهم، واتساع رقعة تلك الثورات في البلاد الإسلامية المختلفة وبقاء قادتها متخفين في الأمصار مما جعل النار تحت الرماد تتقد في أي لحظة من اللحظات. وإن اختفاء هؤلاء القادة كان من الأسباب المهمة في انتشار الفكر الشيوعي واتقاد روح الثورة على العباسيين في المناطق التي يصلون اليها.

المبحث الثاني: جهود الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) في تصحيح مسارات علماء عصره المنحرفة وموقفه من الثورات

العلوية

واجه الامام الرضا عليه السلام علماء عصره بالحجة والدليل لتصحيح مسارات بعضهم التي فسدت طمعاً بهال، كما حصل مع احمد بن ابي بشير السراج، الذي قال فيه الامام عليه السلام: «أما ابن السراج فإنما دعاه الى مخالفتنا والخروج عن أمرنا، أنه عدا على مال لأبي الحسين - صلوات الله عليه - عظيم فاقتطعه في حياة أبي الحسن، وكابرنى عليه وأبى أن يدفعه، والناس كلهم مسلمون مجتمعون على تسليمهم الأشياء كلها لي، فلما حدث ما حدث من هلاك ابي الحسن صلوات الله عليه، اغتتم فراق علي بن ابي حمزة(*) وأصحابه إيتاي، وتعلل، ولعمري ما به من علّه إلا اقتطاعه المال وذهابه به» (الحميري، ١٩٩٣ ص ٣٤٨)، (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٤٩، ص ٢٦٤). أو لشبهة سيطرة عليه، كما مع ابن أبي حمزة الذي قال فيه الامام عليه السلام: «أما ابن أبي حمزة فإنه رجل تأول تأويلاً لم يحسنه، ولم يؤت

رسول الله ﷺ، وهو دليل قطعي على إمامتهم بالنص والتعيين الإلهي.

وفي رواية أخرى إن الامام عليه السلام ذات يوم «استوقف البغلة ورفع المظلة وأقرّ عيون المسلمين بطلعته المباركة الميمونة... والناس على طبقاتهم قيام كلهم، وكانوا بين صارخ وباك... و متمرغ في التراب ومقبّل حزام بغلته... إلى أن انتصف النهار وجرت الدموع كالأنهار وسكنت الأصوات وصاحت الأئمة والقضاة: معاشر الناس اسمعوا وعوا، ولا تؤذوا رسول الله في عترته وأنصتوا، فأملى عليه السلام هذا الحديث... فقال عليه السلام: حدثني أبي موسى بن جعفر الكاظم، قال:... صدق الله سبحانه وصدق جبرائيل وصدق رسوله وصدق الأئمة عليهم السلام» (الأربلي، ١٩٩٥، ج ٣، ص ٩٨).

وأظهرت هذه الرواية تركيز الإمام عليه السلام على ولاية أهل البيت عليهم السلام بوصفها الركن الثاني بعد القرآن الكريم الذي لا يمكن دخول الجنة والأمان من العذاب بغيره، بدليل أنه لم يذكر أمام هذا الجمع الكثير من العلماء والقضاة وغيرهم سوى هذا الحديث القدسي والتركيز عليه، وأن كثرة من حذر الواقعة دليل على تعلق الناس به عليهم السلام ومنزلته الكبيرة في قلوبهم والقدسية التي كان يحظى بها عندهم.

ومن الطبيعي أن يكون ذلك من تأثير أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين سبقوا الإمام الرضا عليه السلام فضلاً عن تأثيره في الساحة الإسلامية، وهو دليل على نجاح الأئمة عليهم السلام في أساليبهم التي أتبعوها، فضلاً عن عدم استطاعة بنو العباس السيطرة على الثورات

مثلها، فكيف يقبل عهده الى غيره وهو يقول علي المنبر: ان لي شيطانا يعتريني فاذا مال بي فقوموني، واذا أخطأت فارشدوني، فهؤلاء ليسوا أئمة بقولهم ان صدقوا أو كذبوا... فقال المأمون: يا أبا الحسن ما في الأرض من يحسن هذا سواك» (الصدوق، ١٣٩٨ هـ، ج ٢، ص ٢٣١)، (الغروي، ج ٨، ص ١٣٩).

وقام عليه السلام بدعم الثورات العلوية المناهضة للحكم العباسي، لكن على نحو غير مباشر اعتماداً لمبدأ الثقة، وهو ما نستشفه من مضامين الرواية بهذا الخصوص ومنها: ما أورده الطبري في أحداث سنة تسعة وتسعين ومئة: «فيها خرج بالكوفة محمد بن ابراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب يوم الخميس العشرون من جمادي الآخرة، يدعو إلى الرضى من آل محمد والعمل بالكتاب والسنة... وكان القيم بأمره في الحرب وتديرها وقيادة جيوشه أبو السرايا» (الطبري، ج ٩/ ص ٣٦). و ابو السرايا هو السري بن منصور الشيباني، لحق بيزيد بن يزيد الشيباني ومعه ثلاثون فارساً، ولما نشبت فتنة الأمين والمأمون انتقل الى عسكر هرثمة بن أعين، وصار معه نحو ألفي مقاتل، وخطب بالأمير، ذهب الى الرقة معارضاً فلقبه بها ابن طباطبا العلوي وكان قد خرج على بني العباس، فبايعه ابو السرايا وتولى قيادة جنده، واستولى على الكوفة، وامتلك المدائن وواسط، فتوالت عليه الجيوش العباسية، الى ان قتلته. (الزركلي، الاعلام، ج ٣/ ص ٢٨).

وما أورده كذلك في أحداث سنة مئتين، بقوله: «في هذه السنة خرج إبراهيم بن موسى بن جعفر

علمه، فألقاه الى الناس، فلحّ وكره اكذاب الناس في إبطال قوله بأحاديث تأولها ولم يحسن تأويلها ولم يؤت علمها، ورأى أنه إذا لم يُصدّق آبائي بذلك، لم يدر لعل ما خير عنه مثل السفينائي وغيره أنه كائن لا يكون منه شيء، وقال لهم: ليس يسقط قول آبائه بشيء، ولعمري قول آبائي شيء، لكن قصر علمه عن غايات ذلك وحقائقه، فصار فتنة له وشبه عليه وفر من أمرٍ فوق فيه» (الحميري، ١٩٩٣، ص ٣٤٨)، (المجلسي، ١٩٨٣، ج ٤٩، ص ٢٦٤).

وفي رواية الصدوق: «اجتمع عند المأمون الفقهاء والمتكلمون، فدرس إليهم أن يناظروا الرضا عليه السلام في الامامة، فلما حضروا الرضا وعرضوا عليه ذلك، قال لهم الرضا: اقتصروا على واحد منكم يلزمكم ما يلزمه، وكان فيهم رجل لا يعرف في خراسان مثله في الكلام... فقال له الرضا:... سل عما شئت، فقال: تكلم في الامامة، ثم قال: كيف ادعيت الامامة لمن لم يؤم وتركت من أم؟ فقال الرضا:... أخبرني عن من صدق كاذباً على نفسه أيكون محقاً مصيباً؟ أو مبطلاً مخطئاً... فالتفت المأمون الى الرضا وقال له يا أبا الحسن: عرفنا الغرض في هذه المسألة، فقال عليه السلام لا بد... من أن يخبر عن أئمة أنهم كذبوا على أنفسهم أو صدقوا فان زعم أنهم كذبوا فلا أمانة لكذاب، وان زعم أنهم صدقوا فقد قال أولهم (وليتكم ولست بخيركم) وقال صاحبه: كانت بيعته فلتة، فمن عاد لمثلها فاقتلوه، فوالله ما رضي لمن يفعل مثل فعلهم الا القتل أو الخيرية لا تقع الا بنعوت منها العلم، ومنها الجهاد وسائر الفضائل، فمن لم تكن فيه فليس بخير الناس، ومن كانت بيعته فلتة يجب القتل على من فعل

كالخوارج وغيرهم هي ثورات محدودة في مناطق محصورة ولا تتعدى الى مستوى تنصيب خليفة للمسلمين عامة تنافس الحكم العباسي وتحاول استبداله بغيره من الأساس، على وفق الأسس التي تستند إليها شرعية الحكم على المسلمين عند أكثر العلماء الذين يتبعهم عامة المسلمين.

ومن الشواهد الأخرى على التحرك العلوي الذي نرجح دعم الامام عليه السلام له، اختفاء احمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب في زمن هارون، اذ قال (الاصفهاني): «ان الرشيد دعا برجل من أصحابه يقال له: ابن الكردية (***)... فقال له: قد وليتك الضياع بالكوفة، فامض اليها وتول العمل بها، وأظهر انك تشيع، وفرّق الأموال في الشيعة حتى تقف على خبر أحمد بن عيسى» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩٤). ودل هذا على اهتمام هارون بأمر أحمد بن عيسى وخوفه من وثوبه عليه بثورة، مما جعله يستخدم المال والحيلة في سبيل الوصول لخبره، لأن احمد كان يسعى الى أخذ البيعة من الناس تمهيداً للقيام بثورته.

وهو ما بينه الأصفهاني في قوله: «جاء ابن الكردية هذا الى البصرة ففعل ما فعله بالكوفة، وجعل يفرّق الأموال في الشيعة، حتى ذكروا له حاضراً (***) وأحمد بن عيسى... وأمر من أناه بحاضر فجيء به، فقال له: اتق الله في دمي، فوالله ما قتلت نفساً ولا أخفت السبيل... فأتي به هارون... فأحضره وأحضر الحازمي رجلاً من ولد عبد الله بن حازم، وكان قد أخذ له بيعة ببغداد فوقع في يد الرشيد فبدأ به، ثم قال: جئت من خراسان الى دار مملكتي تفسد عليّ

بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب باليمن» (الطبري، ج ٩ / ص ٦٩) حتى كادت هذه الثورات أن تحقق مساعيها بالقضاء على الحكم العباسي، وهو ما صرح به الطبري بقوله: «لما رأى حسين بن حسن ومن معه من أهل بيته... وبلغهم أن أبا السرايا قد قتل، وأنه قد طرد من الكوفة والبصرة وكور العراق من كان بها من الطالبين... اجتمعوا إلى محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، وكان شيخاً وداعاً محبباً في الناس... وكان يروي العلم عن أبيه جعفر عن محمد، وكان الناس يكتبون عنه، وكان يظهر سمناً وزهداً، فقالوا له: قد تعلم حالك في الناس، فأبرز شخصك نباع لك بالخلافة، فإنك أن فعلت ذلك لم يختلف عليك رجلان، فأبى ذلك عليهم، فلم يزل به ابنه علي بن محمد بن جعفر وحسين بن حسن الافطس حتى غلبا الشيخ على رأيه، فأجابهم، فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلوت من ربيع الآخر، فبايعوه بالخلافة، وحشروا إليه الناس من أهل مكة والمجاورين فبايعوه طوعاً وكرهاً، وسموه بإمرة المؤمنين» (الطبري، ج ٩ / ص ٧٠).

يظهر من النص خطورة التحرك العلوي على الحكم العباسي الذي وصل لمرحلة اختيار خليفة علوي، ووجود التأييد الشعبي للعلويين في أكثر البلدان الإسلامية، وان تحرك العلويين بهذا المستوى أكثر خطراً من تحرك غيرهم، باعتبار أن المسلمين مسلمون بأن الخلافة لا يمكن أن تكون في غير قریش ولاسيما بنو هاشم، وهي القاعدة التي أستند إليها العباسيون في حكمهم، وإن ثورات غير العلويين

جانبه، فعرض على الإمام عليه السلام منصب الخلافة شكلياً، واستبدل السواد الذي هو شعار العباسيين بالخضرة، ليبعد الشكوك عن نيته المبيتة لتنفيذ مآربه والانقضاض على الامام والعلويين في الفرصة المناسبة لذلك، وتثبيت حكم الأسرة العباسية، والسعي لإزالة قدسية أئمة العلويين وقادتهم من النفوس بإشراكهم بالحكم والأمر.

تشهد على ذلك رسالة المأمون إلى عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام^(٦)، بحسب روايات الأصفهاني ونصها: «كان عبد الله قد توارى في أيام المأمون، فكتب إليه بعد وفاة الرضا يدعوه إلى الظهور... ليجعله مكانه ويباع له، وأعتل عليه بعفوه عمن عفا من أهله، وما أشبه هذا من القول» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩٨)، وان المأمون «كتب إلى عبد الله بن موسى وهو متوار منه يعطيه الأمان، ويضمن له أن يوليه العهد بعده، كما فعل بعلي بن موسى، ويقول: ما ظننت أن أحداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٥٠٠).

لقد كشفت هذه النصوص النيات المبيتة للمأمون باستخدام أسلوب الترغيب للعلويين وقادتهم مصحوباً بإكراههم على المشاركة في الحكم، ومن ثم التخلص منهم وقتل قادتهم بصورة سرّاً بأسلوب ماكر ومخادع. وإن قول المأمون: «ما ظننت أن أحداً من آل أبي طالب يخافني بعدما عملته بالرضا» كشف عن ذلك، وعززه جواب عبد الله بن موسى ونصه: «وصل كتابك وفهمته، تحتلني فيه عن نفسي ختل القانص، وتحتال على حيلة المغتال القاصد لسفك

أمري وتأخذ بيعة؟... ثم أمر به فأعقد في القطع وضرب عنقه، ثم أقبل على حاضر، فقال: ثم صرت تسعى عليّ مع أحمد بن عيسى تنقله من مصر إلى مصر، من دار إلى دار... والله لتأتيني به أو لأضربن عنقك... قال: والله لو كان تحت قدمي ما رفعتها لك عنه، أنا أجيئك بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تقتله؟ افعل ما بدا لك، فأمر هرثمة فضربت عنقه، وصلب مع الحازمي ببغداد» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩٥).

لقد دلّ هذا النص على عمق الخطر الذي كان يحيط بحكم هارون حتى انه وصل لعاصمته في بغداد، وأظهر التزام أصحاب أحمد بن عيسى بمبادئهم واعتقادهم بأحقية أهل البيت عليهم السلام الى درجة التضحية بأنفسهم مقابل نصرتهم على أعدائهم العباسيين. كما أظهر النص استخدام هارون سياسة المال والخوف لإيقاف التحرك العلوي المناهض لدولته، وعجزه عن الوصول إلى أحمد بن عيسى والقبض عليه أو قتله، وهو ما نستشفه مما ورد في الرواية نفسها: «مضى أحمد بن عيسى، وأصحابه فرجعوا إلى البصرة، فلم يزالوا مقيمين حتى مات أحمد بن عيسى، وذلك في سنة سبع وأربعين ومئتين» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩٨).

المبحث الثالث: الامام علي بن موسى الرضا

(عليه السلام) في مواجهة المأمون

أمام تزايد خطر التحرك العلوي ودور الإمام علي الرضا عليه السلام الفاعل، اعتمد المأمون سياسة المال والخوف في سبيل كسب الامام وقادة العلويين الى

ان أبدأ بما قرب مني وتدبرت فإذا أنت أضرت على الإسلام والمسلمين من كل عدو لهم لأن الكفار خرجوا منه وخالفوه فحذرهم الناس وقاتلوهم، وانت دخلت فيه ظاهراً فأمسك الناس وطفقت تنقض عراه عروة عروة، فأنت أشد أعداء الإسلام ضرراً عليه» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٩٩).

أفصح هذا القول عن حيلة المأمون وأسلوبه المخادع في استدراج قادة العلويين وقتلهم، وامتصاص نقمة أتباعهم، وأكد أن عقيدة عبد الله بن موسى بوجوب قتالهم ومحاربتهم أساسها القرآن الكريم، بوصفهم يكيّدون الإسلام وأهله حباً بالسلطة والرئاسة، وأظهر مبدئية عبد الله في تحركه، وأنه لم يكن طالباً للسلطة بقدر ما كان يريد إداء تكليفه الشرعي في محاربة العباسيين بوصفهم منافقين يعملون بخلاف القرآن والسنة الشريفة.

وفي رواية أخرى؛ أكد المعنى نفسه إذ ان عبد الله قال للمأمون: «أنت ختلت المسلمين بالإسلام وأسرت الكفر فقتلت بالظنة، وعاقبت بالتهمة، وأخذت المال من غير حله فأنفقت في غير حله، وشربت الخمر المحرمة صراحاً، وانفقت مال الله على المتلهين وأعطيته المغنين ومنعته من حقوق المسلمين، فغششت بالإسلام... وخالفت الله ورسوله في ذلك خلافة المضاد المعاند» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٥٠١).

فاذا كان هذا حال عبد الله بن موسى في تعامله مع حكم العباسيين ومنهم المأمون، فمن باب أولى أن يكون هذا حال تعامل الإمام الرضا عليه السلام مع المأمون

دمي، وعجبت من ذلك العهد وولايته لي بعدك، كأنك تظن أنه لم يبلغني ما فعلته بالرضا، ففي أي شيء ظننت أنني أرغب من ذلك؟ أفي الملك الذي قد غرتك نظرتة وحلاوته؟ فوالله لأن أفذف وأنا حي في نار تتأجج أحب إليّ من أن ألي أمراً بين المسلمين أو اشرب شربة من غير حلها مع عطش شديد قاتل، أم في العنب المسموم الذي قتلت به الرضا» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٥٠٠). بمعنى أن عمل المأمون هذا حيلة ووسيلة لاغتيال قادة العلويين باستخدام الحيلة والغدر، وإن التظاهر بتحويل الحكم للعلويين ما هو إلا وسيلة لذلك، لتمكينه من جعلهم تحت سلطته ومن ثم التمكن من قتلهم على نحو لا يثير الشك والريبة، ولا يؤدي إلى ردود فعل من أنصار العلويين.

وفي رواية أخرى أكدت هذا المعنى ان عبد الله بن موسى قال: «هبنّي لا تار لي عندك وعند آبائك المستحلين لدمائنا، الآخذين حقنا، الذين جاهرنا في أمرنا فحذرناهم، وكنت الطف حيلة منهم بما استعملته من الرضا بنا والتستر لمحنتنا، تختل واحداً فواحداً منا، ولكنني كنت إمراً حبب إليّ الجهاد، كما حبب إلي كل امرئ بغيته، فشحذت سيفي... ولم أدر أيّ العدو أشد ضرراً على الإسلام، فعلمت أن كتاب الله يجمع كل شيء، فقرأته فإذا فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ (التوبة، آية ١٢٣)، فما أدري من يلينا منهم، فأعدت النظر، فوجدته يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ (المجادلة، آية ٢٢)، فعلمت أن عليّ

يتبين من النص؛ أن الأمر والتخطيط كان من المأمون في تولية الإمام عليه السلام وليس من الفضل وأخيه الحسن، وأنها قد أجاباه إلى ما أمر به، وهذا يتناقض مع ما أورده بعض بأن الأمر كان محاولة من الفضل والحسن لتحويل الخلافة إلى العلويين.

وهو أمر أيده الاصفهاني بقوله: «اعتل الرضا علته التي مات فيها، وكان قبل ذلك يذكر ابني سهل عند المأمون فيزري عليهما، وينهى المأمون عنهما ويذكر له مساوئهما» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٥٤).

وعززه المفيد بروايته: «فعرفا ذلك منه، فجعلنا يحطان عليه عند المأمون ويذكران له عنه ما يبغده منه ويخوفانه من حمل الناس عليه، فلم يزالا كذلك حتى قلبا رأيه فيه، وعمل على قتله» (المفيد، ١٩٩٣، ص ٢٨٨)، والاصفهاني بقوله: «ثم دعا به المأمون فخاطبه في ذلك فامتنع، فقال له قولا شبيهاً بالتهديد، ثم قال له: إن عمر جعل الشورى في ستة أحدهم جدك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك، فأجابه علي بن موسى إلى ما التمس، ثم جلس المأمون في يوم الخميس، وخرج الفضل بن سهل فأعلم الناس برأي المأمون في علي بن موسى، وأنه ولاه عهده، وسماه الرضا. وأمرهم بلبس الخضرة، والعود لبيعته في الخميس الآخر على أن يأخذوا رزق سنة» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٥٥) (الصدوق، ١٣٩٨، ج ٢، ص ١٣٩).

ودل ما تقدم على أن المأمون هو المخطط لموضوع ولاية العهد، وان الأخوين الفضل والحسن كانا مجرد منفذين، وأظهر بالوقت نفسه بصورة واضحة

وأركان حكمه، بوصفه الإمام المفترض الطاعة العامل بالكتاب والسنة، وهو من أهل البيت عليه السلام الذين هم عدل القرآن، ولا يوجد أعلم منهم بالكتاب والسنة.

لقد استخدم المأمون سياسة المال والخوف مع الإمام عليه السلام، إذ أكرهه على قبول ولاية العهد بعد رفضه عليه السلام لمنصب الخلافة، تمهيداً لاحتواء الثورات العلوية ورجالاتها وأتباعها، ومن ثم قتل الإمام عليه السلام الذي كان وجوده خطراً كبيراً على الحكم العباسي وشرعية وجوده.

وأورد الأصفهاني في هذا المجال: «أن المأمون وجه إلى جماعة من آل أبي طالب فحملهم إليه من المدينة، وفيهم علي بن موسى الرضا عليه السلام فأخذ بهم على طريق البصرة حتى جاءوه بهم... ووجه إلى الفضل بن سهل فأعلمه أنه يريد العقد له، وأمره بالاجتماع مع أخيه الحسن بن سهل على ذلك، ففعل واجتمعا بحضرته، فجعل الحسن يعظم ذلك عليه، ويعرفه ما في إخراج الأمر من أهله عليه، فقال له: إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب إن ظفرت بالملخوع، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل. فاجتمعا معه على ما أراد، فأرسلها إلى علي بن موسى فعرضاً ذلك عليه فأبى، فلم يزالا به وهو يأبى ذلك ويمتنع منه، إلى أن قال له أحدهما: إن فعلت وإلا فعلنا بك وصنعنا، وتمده، ثم قال له أحدهما: والله أمرني بضرب عنقك إذا خالفت ما يريد» (الاصفهاني، ١٤٢٨هـ، ص ٤٥٤)، (الصدوق، ١٣٩٨، ج ٢، ص ٢١٧)، (الاربلي، ج ٣، ص ٥١٤).

وقد خشينا إن تركناه على تلك الحالة أن ينشق علينا منه ما لا نقدر على سدّه وأن يأتي علينا ما لا طاقة لنا به والآن فإذا قد فعلنا وأخطأنا من أمره بما قد أخطأنا وأشرفنا على الهلاك بالتنويه على ما اشرفنا فليس يجوز التهاون في أمره ولكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلاً قليلاً حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الأمر ثم ندير فيه بما يحسم عنا مواد بلائه» (ابن رستم الطبري، ص ١٩٤).

يتبين من قول الامام عليه السلام حقيقة المأمون في تخطيطه واعطائه ولاية العهد للإمام عليه السلام، وكشف بالوقت نفسه عن خوفه من نشاط الإمام عليه السلام في نشر فكر أهل البيت عليهم السلام وأحقية أئمتهم بالخلافة واتساع التأييد لهم في الأقطار الإسلامية والاعتقاد بإمامة الإمام عليه السلام وشيوعها بين المسلمين. ومن أجل أن يسيطر المأمون على تحرك الإمام عليه السلام ويحيط بأخباره ويخفي نيته العدوانية قام بتزويجه عليه السلام من بنته، وكان ذلك في سنة (٢٠٢هـ) (الطبري، ج ٩، ص ٩١).

لكن بعد شيوع تأثير الإمام عليه السلام في الساحة الإسلامية، حاول المأمون تقليل شأن الإمام عليه السلام لإزالة الاعتقاد بإمامته من عقول الناس وقلوبهم من خلال أساليب كثيرة، منها ما أورده الطبري بروايته: «قال الرجل: يا أمير المؤمنين فولني بمجادلته فأني أفحمه وأضع من قدره فلولا هيبتك في صدري لأنزلته منزله وبينت للناس قصوره عما رسخ له في قلوبهم، قال المأمون: ما من شيء أحب إليّ من ذلك قال: فاجمع وجوه أهل مملكتك من القواد والخاصة والقضاة والفقهاء لأبين نقصه بحضرتهم فيكون تأخيره عن محلّه الذي احلته فيه على علم منهم

استخدام المأمون سياسة المال والخوف من أجل قبول الإمام عليه السلام بولاية العهد، وإغراء الناس بالأموال لقبول أمر المأمون وطاعته فيه حتى من قبل المواليين للعباسيين.

وأظهر تناقضاً عجبياً فضح المأمون وكشف عن نيته العدوانية بحق الامام والعلويين، إذ أنه هدد بقتل الإمام عليه السلام إن خالف أمره ولم يقبل بولاية العهد إقتداءً بسيرة عمر بن الخطاب بالشورى، في وقت زعم فيه أنه يعمل على وفق الكتاب والسنة الشريفة، وأنه يعتقد بأحقية الإمام عليه السلام بالخلافة.

وكشف الإمام عليه السلام عن نيّة المأمون السيئة والمكر المبيت في قلبه، بقوله: «عظم الله تعالى البركة في البلاد بدعاء الرضا، وقد كان للمأمون من يريد أن يكون هو ولي العهد دون الرضا، وحساد كانوا بحضرة المأمون للرضا، فقال للمأمون بعض أولئك: يا أمير المؤمنين اعيدك بالله أن تكون تاريخ الخلفاء في إخراجك هذا الأمر... من بيت ولد العباس إلى بيت ولد علي لقد أعنت على نفسك وأهلك جئت بهذا الساحر ولد السحرة وكان خاملاً فأظهرته... ومنسياً فذكرت به ومستخفياً فندهت به قد ملأ الدنيا مخرفة... ما أخوفني أن يخرج هذا الأمر من ولد العباس إلى ولد علي بل ما أخوفني أن يتوصل بسحره إلى إزالة نعمتك والتوثب على مملكتك هل جنى أحد على نفسه ومملكته مثل جنايتك؟ فقال المأمون: قد كان هذا الرجل مستتراً عنا يدعو الناس إلى نفسه فأردنا أن نجعله ولي عهدنا ليكون دعائه إلينا وليعرف أن الملك والخلافة لنا وليعتقد المعتقدون أنه ليس مما ادعى لنفسه في قليل ولا كثير وإن هذا الأمر لنا دونه

بطغيان المأمون وجبروته، مما جعل الحاجب يستشيط غضباً فكيف بالمأمون نفسه؟ وهو ما بينه الطبري بتكملة روايته: «فغضب الحاجب عند ذلك، فقال: يابن موسى لقد عدوت طورك وتجاوزت قدرك أن بعث الله مطراً مقدراً وقته لا يتقدم ولا يتأخر ساعة جعلته آية تستطيل بها وصوله تصول بها كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم... فإن كنت صادقاً فيما توهم فأحبي هاتين الصورتين وسلطهما عليّ فإن ذلك حينئذ تكون آية ومعجزة... وكان الحاجب أشار إليه إلى أسدين مصورين على مسند المأمون... فغضب علي بن موسى الرضا عليه السلام وصاح بالصورتين دونكما الفاجر فافترساه ولا تبقى له عيناً ولا أثراً، فوثبت الصورتان وقد عادتا أسدين فتناولا الحاجب ورضاضاه وهشماه وأكلاه ولحساده والقوم متحيرين ينظرون فلما فرغا منه أقبل على الرضا عليه السلام وقال: يا وليّ الله في أرضه ماذا تأمرنا أن نفعل بهذا انفعل ما فعلناه بصاحبه وأشار بالقول إلى المأمون فغشي عليه مما سمع منهما فقال الرضا عليه السلام لأصحاب المأمون وحاشيته: أفيضوا عليه الماء... فأفاق من غشيته... وعاد الاسدان يقولان: إذن لنا... قال لا، فإن الله عزّ وجلّ فيه تدبيراً هو ممضية... قال: عودا.. فعادا إلى المسند وصارا الصورتين كما كانا. فقال المأمون: الحمد لله الذي كفاني شر حميد بن مهران يعني بذلك الرجل المفترس» (ابن رستم الطبري، ص ١٩٥-١٩٦)، (الصدوق، ج ٢، ص ١٣٩).

ان هذه الكرامة الباهرة دلّت بصورة قاطعة على الإمامة الإلهية الحقّة للإمام الرضا عليه السلام، ولعلّ ذلك كان بسبب تحدي الحاجب الذي جعل الإمام عليه السلام

بصواب عقلك، قال: فجمع الخلق الفاضلين.... فابتدأ هذا الحاجب المتضمن للوضع، من الرضا، وقال له: إن الناس قد أكثروا وأسرفوا في وصفك فما أرى إنك أن وقفت عليه إلا وبرئت منه إليهم وأول ذلك أنك قد دعوت الله في المطر المعتاد مجيئه فجاء فجعلوه آية معجزة لك أو جوالك بها أن لا نظير لك في الدنيا وهذا أمير المؤمنين.... لا يوازن بأحد إلا رجح وقد أحلك المحل الذي قد عرفت فليس من حقه عليك أن تسوّغ الكاذبين لك فيما يدعونه قال الرضا: ما أدفع عباد الله أن يتحدثوا بنعم الله عزّ وجلّ وإن كنت لا أبغي بذلك بطراً ولا أشراً وما أذكرك أن صاحبك أحلني هذا المحل فما أحلني إلا اعمل الذي أحله ملك مصر يوسف الصديق وكانت حالهما ما قد عرفت» (ابن رستم الطبري، ص ١٩٤)، (الصدوق، ج ٢، ص ١٣٩).

كشفت هذه الرواية عن مستوى تأثير الإمام عليه السلام في الساحة الإسلامية وانتشار الاعتقاد بإمامته، وكان رده عليه السلام حازماً بتصديق ما يقوله الناس في إمامته، بل زاد عليه بعدم ذكر المأمون بما يذكره الناس، إذ وصفه بـ«أن صاحبك»، وهو وصف أزال به عليه السلام صفة الخلافة عن المأمون وعدم شرعية حكمه بهذا العنوان، فضلاً عن أنه قارن بينه وبين حاكم مصر، وبين نفسه وبين يوسف الصديق عليه السلام، وهي مقارنة واضحة وصریحة بأن جعل نفسه صاحب الحق الإلهي بالخلافة كما كانت ليوسف عليه السلام، وأن المأمون هو حاكم دنيوي لا يمت للخلافة الإلهية بصلة.

ودل قوله هذا بحضور المأمون وحاشيته على الصرامة والتحدّي، على الرغم من علمه عليه السلام

وهو ما وضحه الامام عليه السلام بحوار مع المأمون، جاء فيه: ان المأمون قال: «رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة، واجعلها لك، قال الرضا: إن كانت الخلافة حقاً لك، وانت أهل لها فلا يجوز أن تخلع نفسك منها، وإن لم يكن لك حق بها فلا يجوز أن تعطيتها لغيرك، قال المأمون: لا بد لك من قبول هذا الأمر... إن لم تقبل الخلافة فكن ولي عهدي. قال الرضا: لست أفعل ذلك مختاراً أبداً... تريد أن يقول الناس: إن علي بن موسى الرضا، لم يزهّد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد حين أتحت له الفرصة؟!... فغضب المأمون، وقال: والله إن لم تقبل ضربت عنقك، قال الرضا: إن الله سبحانه قد نهاني أن أُلقي بيدي إلى التهلكة، فإن كان الأمر كذلك، فافعل ما بدا لك، وأنا أقبل على أن لا آمر، ولا أنهي ولا أقصي، ولا أُغير شيئاً فأجابه المأمون إلى ذلك» (الصدوق، ج ١، ص ١٥١)، (ابن شهر اشوب، ج ٣، ص ٤٧٣).

يظهر من مضمون الحوار أنّ الإمام عليه السلام أبطل مشروعية حكم المأمون بقبوله بولاية العهد المشروطة، إذ أنّه عليه السلام من خلال رفضه للخلافة وشروطه التي اشترطها لقبوله بولاية العهد.

الخاتمة

أكد الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إمامة الإمام الرضا عليه السلام وهو صغير في السن، وأبرز الأدلة الغيبية التي تثبت ذلك، لإبعاد الشبهات التي ترد على شخص الإمام المعين، وقطع الطريق على المدّعين

على المحك، وما تمثله الإمامة بوصفها ركناً من أركان الإسلام الحنيف، فاستوجب الموقف إظهار هذه الكرامة لدحض الباطل وإحقاق الحق، ظهر ذلك في ما جاء بتتمة الرواية: «ثم قال للرضا: يا ابن رسول الله هذا الأمر لجدكم رسول الله صلى الله عليه وآله ثم لكم، ولو شئت انزلت لك عنه، فقال الرضا عليه السلام: لو شئت لما ناظرتك فإن الله عزّ وجلّ أعطاني من طاعة سائر خلقه مثل ما رأيت من طاعة هاتين الصورتين إلا جهال بني آدم فإنهم خسروا حظوظهم والله عزّ وجلّ فيهم تدبير، وقد أمرني ربي بترك الاعتراض عليك وإظهار ما أظهرته من العمل تحت يدك، كما أمر يوسف الصديق عليه السلام بالعمل من تحت يد فرعون مصر، وأدبر المأمون ضيلاً في نفسه إلى أن قضى في عليّ بن موسى الرضا عليه السلام ما قضى» (ابن رستم الطبري، ص ١٩٦)، (الصدوق، ج ٢، ص ١٥١).

ودلّ هذا على أن تحرك الإمام عليه السلام ونشاطه لم يكن بمعزل عن الأوامر والتدبير الإلهي، وأنه عليه السلام يعمل على وفق الأوامر الإلهية، وهو يعلم من أمور الغيب ما علّمه الله تعالى، ويمتلك من القدرة التكوينية المؤثرة في الأشياء بقدر ما أعطاه الله تعالى منها، وبإمكانه جعل الأسدين يأتیان على المأمون نفسه ويهلكانه، لكن مقتضى التدبير الإلهي استوجب أن لا يفعل ذلك لحكمة أرادها الله تعالى.

ويستشف من تتمة الرواية ان سبب رفض قبول الامام عليه السلام منصب الخلافة تحت تهديد المأمون وقبول ولاية العهد تحت التهديد نفسه، هو لحكمة الهية، لكونه لا يتصرّف بالأمر من تلقاء نفسه، بل تبعاً للأوامر الإلهية، والله في خلقه شؤون.

(**) اسمه يحيى بن خالد، وكان من رجال المنصور الدوانيقي، متزلفاً له ومحط ثقته. الأصفهاني، مقاتل الطالبين، ص ٤٩٤.

(***) حاضر هو أحد أصحاب الامام عيسى بن زيد ومولاه، قتله المهدي العباسي. الأمين، أعيان الشيعة، ج ٣ / ص ٧٥.

المصادر والمراجع

القران الكريم.

* الأربلي، علي بن عيسى (ت ٦٩٢هـ):

١- كشف الغمة في معرفة الأئمة، تقديم أحمد الحسيني، (قم- ١٩٩٥م).

* الاصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت ٣٥٦هـ):

٢- مقاتل الطالبين، شرح وتحقيق السيد أحمد الصقر، منشورات دار الزهراء، (قم- ١٤٢٨هـ).

* ابن حجر الهيتمي، شهاب الدين أحمد ابن حجر المكي (ت ٩٧٤هـ):

٣- الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، تحقيق مصطفى العدوي، (المنصورة- ١٤٢٩م).

* الحميري، عبد الله بن جعفر (ت ٣٠٤هـ / ٩١٦م):

٤- قرب الاسناد، تحقيق مؤسسة ال البيت لإحياء التراث (قم- ١٩٩٣م)

* ابن رستم الطبري، محمد بن جرير بن رستم (ت ٤١١هـ):

٥- دلائل الإمامة، مؤسسة البعثة، (قم- ١٩٩٢).

للإمامة، وأكد الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) إمامة أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ووجوب محبتهم وإتباعهم، وحدد شخوصهم المنصوص عليها في القران الكريم والحديث النبوي الشريف ومنها شخصه المبارك.

وأمام التحرك الفاعل للإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) على صعد الحياة المختلفة العلمية منها والسياسية وغيرها والتفاف المؤمنين حوله واتساع رقعة المؤيدين له، استخدم المأمون سياسة أسلافه حكام بني العباس المال والخوف مع الامام (عليه السلام)، بهدف كسب مودته أو اجباره على تغيير خطابه، فأكرهه على القبول بولاية العهد بعد أن رفض (عليه السلام) منصب الخلافة، تمهيداً لاحتواء ثورات العلويين ورجالاتهم، ومن ثم قتل الإمام (عليه السلام)، بهدف الخلاص من معارضته وكلمة الحق التي كان يدعو اليها، لكن الإمام (عليه السلام) برعاية الباري عز وجل والعلم الذي ورثه أبطل مشروعية حكم المأمون بقبوله بولاية العهد بحسب شروط معينة وواضحة، ورفضه للخلافة، مفوتاً بذلك على المأمون تحقيق أهدافه الخبيثة، ومحققاً بالوقت نفسه اتساع رسوخ رسالته وامامته (عليه السلام) في قلوب الناس.

الهوامش

(*) كنيته (ابو الحسن)، وهو مولى الأنصار، كوفي، وله أخ يسمى جعفر بن أبي حمزة، روى عن أبي الحسن موسى وأبي عبد الله (عليهما السلام)، ثم وقف، وهو أحد عمد الواقفة، وله كتب عدة، منها: (كتاب الصلاة)، و(كتاب الزكاة)، و(كتاب التفسير). ينظر: الخوئي، معجم رجال الحديث، ج ١٢ / ص ٢٣٤-٢٥٣.

- * الزركلي، خير الدين: الاطهار، ط ٣، دار احياء التراث العربي، (بيروت- ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م).
- * المسعودي، علي بن الحسين (ت ٣٤٦هـ): ١٥- اثبات الوصية، ناشر انصاريان، (قم- ١٩٦٥).
- * المفيد، محمد بن محمد بن النعمان العكبري (ت ٤١٣هـ): ١٦- الارشاد، مؤسسة آل البيت، ط ٢، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م- ١٩٩٣).
- * الصدوق، محمد بن علي القمي (ت ٣٨١هـ): ٨- عيون أخبار الرضا. كمال الدين واتمام النعمة، تحقيق هاشم الحسيني، (قم- ١٣٩٨هـ).
- ٩- معاني الأخبار، تحقيق علي أكبر الغفاري، (قم- ١٣٦١هـ).
- * الصفار، محمد بن الحسن (ت ٢٩٠هـ): ١٠- بصائر الدرجات الكبرى، منشورات الاعلمي، (طهران- ١٤٠٤هـ).
- * الطبري، محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ): ١١- تاريخ الرسل والملوك المعروف بـ(تاريخ الطبري)، تحقيق لجنة من العلماء، مؤسسة الأعلمي، (بيروت- د.ت).
- * الطوسي، أبو جعفر بن الحسن (ت ٤٦٠هـ): ١٢- الفهرست، تحقيق جواد القيومي، مؤسسة الفقهية، (د.م- ١٤١٧هـ).
- * الكليني، محمد بن يعقوب بن اسحاق الرازي (ت ٣٢٩هـ): ١٣- الأصول من الكافي، دار الاضواء، (بيروت- ١٩٨٥).
- * المجلسي، محمد باقر (ت ١١١هـ): ١٤- بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الائمة

